**مصدر الأخلاق:**

**الاخلاق بين الطبع والاكتساب**

وقع خلاف بين الفلاسفة والمفكرين في تفسير اخلاق الانسان وطباعه فمنهم من ذهب الى ان الاخلاق قد جبل عليها الانسان ولايمكن تغييرها فهي مطبوعة في نفسه وليست مكتسبة، ويسوقون ادلة لإثبات مدعاهم منها على سبيل المثال: ان بعض الافراد حتى لو وفرنا لهم ظروفا تربوية مثالية فانهم مع ذلك يكونون سيئي الاخلاق والطباع ولا تنفع معهم كل تربية، وفي مقابل ذلك نجد ان بعض الافراد على الرغم من سوء المحيط التربوي الذي ينشأون فيه الا انهم يكونون على مستوى عالي من الخلق والانضباط. وهذا الرأي لو اخذنا به لانهارت كل العملية التربوية من الاساس ولذا جوبه هذا الرأي بالرفض.

هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟ هذا السؤال هو الذي تحدد إجابته مصدر الأخلاق عند الناس، فهناك من ذهب إلى أن مصدر الأخلاق هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهناك من ذهب إلى أن المجتمع هو صانع أخلاق الأفراد، أي أن الأخلاق كلها مكتسبة وهناك من قال ان الاخلاق هو الدين .

وكلا القولين أخذ بطرف وأهمل الطرف الآخر، إذ من الأخلاق ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب وإيضاح ذلك كما يلي:

1- هناك أدلة تدل على أن بعض الأخلاق فطري خلقه الله في نفس الإنسان ومنها قول النبي صلى الله عليه واله وسلم لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة) ، وفي سياق آخر أن الأشج قال: (يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله) .

ومن الأدلة على فطرية بعض الأخلاق حديث النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن البر والإثم، فقال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس).

ومما استدل به بعضهم على فطرية الأخلاق الأحاديث الواردة في الفطرة وبعض الآيات كقوله تعالى: ((ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)) (الشمس 7-8)، ونحو ذلك من النصوص التي تدل على المعنى دلالة اقتضاء أو لزوم.

ومن هذه النصوص نستنتج أن الفطرة من مصادر الأخلاق، بمعنى أن الله أوجد في النفس الإنسانية أخلاقاً في أصل خلقتها، وهي توجد مع الإنسان منذ ولادته وترسخ وتقوى بما يناسبها من أعمال كسبية، وتضعف وتتلاشى بالإهمال، أو باكتساب ما يضادها من أخلاق.

2- ومن الأدلة على أن بعض الأخلاق مكتسب:

أ- الدعاء النبوي في استفتاح الصلاة، ومنه قوله صلى الله عليه واله وسلم: (اللهم أهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال وسيء الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت).

ولو كانت كل الأخلاق فطرية موجودة في النفس لما دعا النبي صلى الله عليه واله وسلم ربه أن يهديه لتحصيل الأخلاق الحسنة وأن يقيه الأخلاق السيئة.

ب- ومثل ذلك دعاؤه صلى الله عليه واله وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء) ، فهذه استعاذة من أخلاق يمكن أن تحصل بالاكتساب كما تحصل الأعمال وكما تحدث الأهواء.

جـ- المتأمل في طباع الناس وأخلاقهم وخاصة الأطفال يرى أن هناك جملة من الأخلاق الحسنة أو الرديئة موجودة فيهم خلقة، ولا يوجد دليل على أنهم تعلموها من غيرهم، ويمكن إدراك هذا المعنى بجلاء عندما تتأمل حال طفلين شقيقين أو توأمين نشاءا في بيئة واحدة وفي ظروف متطابقة، وتجد أحدهما حاد الطبع سريع الغضب والآخر هادئ الطبع فيه أناة، أو أحدهما كريم سخي، والآخر شحيح ممسك.

3- اعتبار بعض الأخلاق جبلي وبعضها مكتسب يتوافق مع الواقع والمشاهد من أحوال الناس، وبه يحصل إعمال جميع الأدلة الشرعية.

4/ أن الأخلاق الفطرية كالحلم والأناة والكرم والشجاعة تنمو بتأكيدها وتثبيتها بما يناسبها من الاكتساب، وتذوي بالإهمال أو بالاكتساب المضاد، فالمفطور – مثلاً – على الأناة تزداد هذه الخصلة الأخلاقية لديه بالاكتساب، وقد تضعف إذا أهملها، أو اكتسب ما ينافيها كالعجلة والطيش والتسرع.

بقي أن يشار هنا إلى أن الأخلاق الجبلية أو المكتسبة لها تعلق بمكونات الإنسان الأساسية، فمنها ما له علاقة باللسان كالصدق والكذب، ومنها ما هو متعلق بالعقل والإدراك كالفهم والحكمة والسفه والحماقة، ومنها ما هو متعلق بالجوارح كالخيلاء والرشوة والعنف والإيثار والرفق.

اما الفريق الاخر فيرى ان الاخلاق مكتسبة وهي قابلة للتغيير والتحول والتبدل وسنقف عند هذه الرؤية فيما بعد.